

وحدة اللغة . فهي تحافظ منذ البداية على لغة التشابيه الغريبة . اداة الوصف هو التشبيه منذ بداية الكتاب . ثم يتصاعد هذا التشبيه بشكل مفاجيء امام وصف الكوابيس الجنونية التي يعيشها فرح . فندخل الحلم ، ولا نخرج منه . وحدة التشابيه هي وحدة خارجية . فالجمله القصصية تحافظ على ثوابتها . اي انها تبقى استتباعا تطورية من نمط واضح ، رغم ان التطور يكسر ولا يستكمل عناصره . داخل عنصر اللغة نفسه تحاول الرواية خلق وحدتها بطريق آخر . غني عدد من المقاطع المتتابعة ، تستعمل المؤلفة نفس الجملة الاولى ، التي تصف مظاهر الطبيعة ، لتجعلها اطارا لحركات الابطال المتوازية .

— ٤ —

« انفجر الرعد كصرخة تهديد غامضة ... » لكن هذا الافتتاح الموحد لمقاطع مختلفة ، لا يوحد الا بمقدار ما يمت بصلة السى المكان . لكن اداة التشبيه في « كصرخة تهديد » تقود الى وحدة الحالة النفسية التي تقود مختلف شخصيات الرواية . هنا لا وجود للوحدة النفسية الا بالمعنى السلبي ، بمعنى التعرض لتقمع البرجوازية الوحشي . لكن التعدد الكبير لاشكال هذا التقمع ، تجعله غير مكشوف في النهاية . فما هي عناصر وحدته ؟ الاحتكار ، التخلف ، الكبت الجنسي ، الفقر ، العلاقات العشائرية ، السلطة السياسية ... نستطيع ان نستعرض في رصف هذه العناصر خلف بعضها دون ان نصل الى لحظة وحدة زمن الكتابة . تتساقط الرواية كبناء ونبقى امام لغة غادة السمان في القصة القصيرة . فنحن امام مجموعة من القصص القصيرة ، التي لا تتوحد الا من خارجها ، المكان ، وتقدم مجرد صرخة احتجاج على التقمع .

في خاتبة روايتها ، تقدم السمان ، العديد من اللوحات الكابوسية . هذه الكوابيس موحدة ، متوترة ، مليئة بالتحدي ، رغم ان بعض صورها يذكرنا بأشياء نعرفها أو شاهدناها . لكنها محاولات أصيلة للكتابة التي تتجاوز المألوف ، وتكشف الحقيقة وكأنها ليست سوى احلام مجنون رغم اننا لا نشهد تطور « مطرب الرجولة » الى الجنون ، لكننا داخل جنونه نفهم عصر البرجوازية المتوحشة . « بعد ان انتهت كأسها ، أمسكت « الشاليمو » وفي بساطة أدخلت « الشاليمو » في شرياني بدلا من الكأس ، وبدأت تمتص دمي ... » هذه هي بداية

ممكنة للرواية . كان يجب ان تبدأ هذه الرواية من نهايتها ، عندها ما كانت بحاجة الى التقطيع الطباعي ، حرف أسود ، لتمييز بين السرد والتداعيات الخاصة بالشخصيات . وكان زمن الكتابة قد استطاع ان يكتشف موحداته .

1 — الدائرة الاولى ، هي دائرة السجناء . في داخل السجن تكشف الرواية عن نمط العلاقات

في روايته الثالثة « شرق المتوسط » ، يقدم عبد الرحمن منيف لوحة للقمع المباشر . فاذا كانت « بيروت ٧٥ » ، قد حاولت ان تقدم وصفا للقمع غير المباشر ، قمع العلاقات الاجتماعية نفسها ، فاننا هنا ، امام دائرة مغلقة . السجن هو الاطار الوحيد الذي تتحرك داخله الشخصيات الرئيسية في رواية منيف . رجب في السجن ، ووالدته واخته وحماد زوج اخته خارجه . لكنهم جميعا يعيشون داخل السجن . ليس بالمعنى الاجتماعي ، اي ليس لان التقمع في الخارج هو اساس قمع السجن ، بل بالمعنى النفسي ، لان قمع السجن ، يتمكس على بقية ابطال الرواية ، فيصبحون جميعا ضحاياه . تتحرك الرواية في اطارين : السرد والتداعي . وتجرى على لسانين : رجب وشقيقته أنيسة . رجب يصف عذابات السجن من خلال تداعيات الباطنة التي تنقله الى أوروبا للعلاج ، بعد انهياره . وأنيسة تصف عذاباتها وعذابات أمها من خلال تداعيات العلاقة القصيرة برجب بعد خروجه او في سفره عبر الرسائل ، ومن خلال المشاكل التي يواجهها جامد بصفته كميل رجب . الرواية تدور في عالم الذكريات . والذكريات هنا هي من طبيعة نفسية فردية . انها تقدم نموذجا . رجب المناضل الذي يمثل في مكان ما من « هذه الارض الغبراء » . تحاول ان تستقصي تفاصيل نفسيته ، بوصفها انعكاسا لشروط قمع عامة ، فتتعرف على نوازمه ومشاكله واحلامه ، بلغسة تقرب من اللغة الرومانسية . وكانعكاس لحال رجب النموذج ، نتعرف على شخصيتي أمه وشقيقته . أمه هي أيضا أم نموذجية . تهوت لانهم قتلوها حين سحتوا ابنها في عذابات السجن . ولكني تقدم الرواية صورة واضحة عما تريد قوله ، تستعرض في وصف تعصيلي لحالة السجناء من خلال ثلاث دوائر :

1 — الدائرة الاولى ، هي دائرة السجناء . في داخل السجن تكشف الرواية عن نمط العلاقات